



عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه، قَالَ:

١ دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَعَقَلْتُ نَاقَتِي بِالْبَابِ،

٢ فَأَتَانَهُ نَاسٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: «اقْبُلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ»،

٣ قَالُوا: قَدْ بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا، مَرَّتَيْنِ،

٤ ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَقَالَ: «اقْبُلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ

الْيَمَنِ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ»،

٥ قَالُوا: قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ،

٦ قَالُوا: جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ.

٧ قَالَ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ،

٨ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ،

٩ وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ،

١٠ وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ»

١١ فَنَادَى مُنَادٍ: دَهَبَتْ نَاقَتُكَ يَا بَنَ الْحُصَيْنِ، فَانْطَلَقْتُ، فَإِذَا هِيَ يَقْطَعُ

دُونَهَا السَّرَابَ،

١٢ فَوَاللَّهِ لَوِودِدْتُ أَنِّي كُنْتُ تَرَكَتُهَا^(١).

١ دخل عمران بن الحصين رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم وربط ذراع ناقته

برجلها حتى لا تتفلت أو تهرب.

(٦١) رواه البخاري (٣١٩١).

آيات

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ [هود: ٧].

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْسِبُ مَا قَدَّمُوا وَآخِرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ [يس: ١٢].

﴿ قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَجَعَلَ لَهَا أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْسًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اأْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَفَضَّلَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحَفِظْنَا ذَلِكَ تَقْدِيرَ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [فصلت: ٩-١٢].

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩].

الراوي

عمران بن حُصَيْن بن عُبَيْدِ الحَزْرَاعِيِّ، أَبُو نُجَيْدٍ، أسلم عام خيبر ٧هـ، وكان صاحبَ راية خِزْرَاعَةَ يومَ الفتح، بعثه عمرُ بنُ الخطَّاب رضي الله عنه إلى البصرة ليفقه أهلها، وكان مجاب الدعوة، ولم يشهد الفتنة، توفي سنة ٥٣هـ^(١).

خاتمة

يخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن بعض الأمور الغيبية من صفات الله تعالى وأفعاله، فيذكر أنه كان في الأزل قديماً قبل كل شيء، وكان عرشه على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض، ثم ذكر أنه كتب في اللوح المحفوظ مقادير العباد وما يجري لهم، وبعد ذلك خلق السموات والأرض.

(١) تراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢١٠٨/٤)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٣/١٢٠٨)، «أسد الغابة» لابن الأثير (٤/٢٦٩)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٤/٥٨٤).



٢ فينما هو جالسٌ عند النبيِّ ﷺ إذ دخل عليه وفدٌ من قبيلة تميم، فقال ﷺ: «اقبلوا البشرى يا بني تميم»، بشرهم ﷺ بدخول الجنة والنجاة من النار؛ إذ أسلموا وعرفوا الحلال والحرام ونحو ذلك (٦٢).

٣ فلما سمع بنو تميم البشرى جنحوا إلى طلب الدنيا، فقالوا: «قد بشرتنا فأعطنا»، فغضب منهم ﷺ إذ لم يعبؤوا بالبشرى وعلّقوا آمالهم بالدنيا الفانية، ولم يفهموا من البشرى إلا العطاء المادي فقط.

٤ ثم بعد ذلك دخل عليه ناسٌ من اليمن، وهم الأشعريون، قوم أبي موسى الأشعريؓ، فقال لهم: «اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم» مع أنّ بني تميم قد قبلت البشرى إلا أنها لم تقبلها القبول المطلوب حيث قرنت القبول بطلب المال، فكأنها لم تقبلها (٦٣).

٥ وكان أهل اليمن أفتقه من بني تميم، فقبلوا البشرى دون قيودٍ أو مطالب، ولهذا قال ﷺ: «الإيمانُ يمانٌ، والحكمةُ يمانية» (٦٤).

٦ ثم إنهم بعد أن قبلوا البشرى سألوا رسولَ الله ﷺ عن أمر الكون وخلق العالم ونحو ذلك، ولم يظهر في السؤال ما سألوا عنه، غير أنه ظهر من إجابته ﷺ.

٧ فأجاب ﷺ عن سؤالهم بأنه تعالى كان ولم يكن شيءٌ معه، لا السموات ولا الأرض ولا الماء ولا العرش ولا الكرسي ولا غير ذلك (٦٥).

٨ ثم أخبرهم بأنه تعالى كان عرشه على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧]، وذلك معناه أنه خلق الماء ثم خلق العرش، ولما خلق السموات والأرض استوى على العرش فوق السموات، قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

(٦٢) ينظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٣ / ٤٠٩).

(٦٣) ينظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٣ / ٤٠٩).

(٦٤) رواه البخاري (٣٤٩٩)، ومسلم (٥٢).

(٦٥) «فتح الباري» لابن حجر (٦ / ٢٨٩).

وعرش الرحمن أعلى المخلوقات وأعظمها وأكبرها، وقد ورد أن الكرسي بالنسبة إلى العرش كحلقة من حديد مُلقاة في الصحراء، والسموات السبع بالنسبة إلى الكرسي كحلقة مُلقاة في الصحراء كذلك^(٦٦). والكرسي هو موضع قدم الرب سبحانه وتعالى، والعرش أعظم منه، ولهذا جاء وصفه في القرآن بأنه عرش عظيم ومجيد وكريم؛ قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: ٨٦].

ثم بين ﷺ أن الله تعالى كتب مقادير العباد وما يجري للعالم كله في اللوح المحفوظ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»^(٦٧).

ثم أخبر ﷺ أنه تعالى خلق السماوات والأرض بعد أن خلق الماء والعرش وكتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ. وقد بين الله سبحانه شيئاً من خلق السموات والأرض فقال: ﴿قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْسًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّالِبِينَ ١٠ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ١١ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩-١٢].

ثم إن أحدًا أخبر عمرانًا ﷺ أن ناقته قد تفلتت من عقالها وهربت، فخرج يراها، فإذا هي قد غابت عن الأنظار، وحال بينه وبينها السراب، وهو ما يرى في الصحراء في شدة الحر كأنه ماء.

فتحسّر عمرانٌ ﷺ على خروجه من عند رسول الله ﷺ؛ حيث قام ولم يسمع باقي حديث النبي ﷺ عن بدء الخلق وصفة العرش ونحو ذلك.



(٦٦) «تفسير الطبري» (٤ / ٥٣٩)، «الهداية الى بلوغ النهاية» لمكي بن أبي طالب (١ / ٨٤٨).

(٦٧) رواه مسلم (٢٦٥٣).

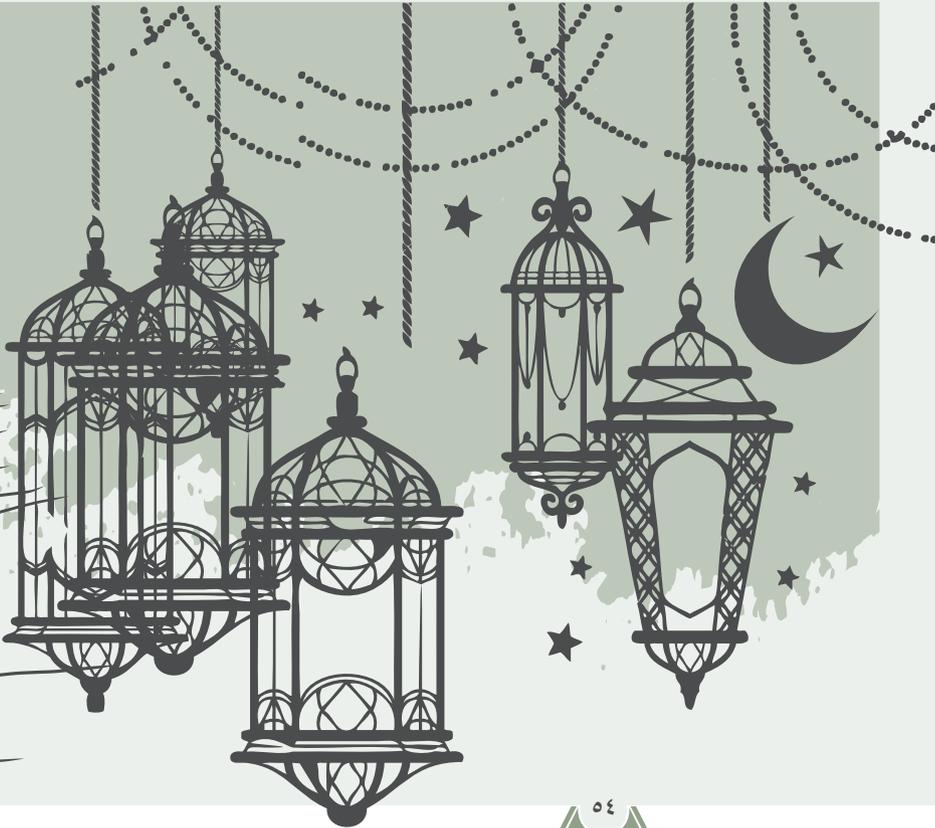
اتباعه

١ ربط عمران بن حصين ناقته على باب مسجد النبي ﷺ، وهذا مقتضى التوكل على الله تعالى، من حيث الأخذ بالأسباب ثم تسليم الأمر إلى الله تعالى، فلم يقل: أتركها دون قيد وأتوكل. وقد أخرج الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْقُلُهَا وَأَتَوَكَّلُ، أَوْ أَطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ: «اعْقُلُهَا وَتَوَكَّلْ» (٦٨). فبين النبي ﷺ وعلم أصحابه أن التوكل إنما هو الأخذ بالأسباب وتسليم الأمر لله، فمقتضى التوكل للطالب أن يسعى ويجتهد في مذاكرته وتحصيل دروسه، وعلى العامل أن يتقن عمله، وعلى المزارع أن يجتهد في ري الأرض ورش المبيدات ونحو ذلك. مع يقين الكل بأن الأخذ بالأسباب لا يقتضي حصول المطلوب، وإنما ذلك بيد الله تعالى وحده.

٢ كان النبي ﷺ يحب أن يُبشّر أصحابه بالمبشرات الطيبة، وهذه من السنن التي تركها أكثر العلماء والمُرَبِّين والمُعَلِّمين، فيحسن بهم أن يُزينوا مجالسهم بأحاديث البشريات ووصف الجنة والشفاعة ونحو ذلك، لا أن يقتصروا على بيان أحكام الفقه والعقيدة وغيرها.

٣ على المسلم أن يكون همه منصرفاً إلى الآخرة لا إلى الدنيا.

٤ لفوز في الآخرة لا يعادله فوزٌ، ولهذا غضب النبي ﷺ من بني تميم حين لم يكتفوا بالبشرى وطلبوا العطاء.



(٦٨) رواه الترمذي (٢٥١٧).

٥ لا تستحي أن تسأل عن شيء من أمور الدين، سواءً من أحكام الشريعة وما يحل ويحرم، أو عن أحوال القيامة وأخبار الأمم السابقة.

٦ أحسن الظنَّ برّبك؛ فهو قادرٌ على تحقيق ما تتمنى؛ أو ليس الذي لا يعجزه خلقٌ مثل هذا الكون الفسيح وإمساكُه بيده قادرًا على إجابة دعوتك؟!!

٧ إذا كان الله عزَّ وجلَّ قد كتب مقادير الخلق قبل خلق السموات والأرض، فلا ينبغي لعبيد أن يتحسر على ما فاته مما كان يرجو من الخير، ولا يجزع لما أصابه مما كان يحذر من الشرِّ، فإنَّ العبدَ إذا فعل ذلك كان ساخطًا على قدر الله تعالى.

٨ ندم عمران بن حصين رضي الله عنه حين خرج ينظر ناقته وترك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه دلالة على فضل العلم الشرعي، وأنَّ تحصيله وفهمه خيرٌ من الانشغال بالدنيا وما فيها. فلا يليق بعاقِل أن يغفل عن تلك الفضيلة.

